علاقة علم الطبقات بعلم الجرح والتعديل

*مبحث فى* دراسات فى تاريخ الرواة وطبقاتهم

*إعداد / أحمد عبد الحميد مهدي*

*قسم الدعوة وأصول الدين*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

شاه علم - ماليزيا

*ahmed.mahdey@mediu.ws*

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى علاقة علم الطبقات بعلم الجرح والتعديل  
الكلمات المفتاحية – علاقات ، تبادلية ، نتائج**

**المقدمة.I**

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة علاقة علم الطبقات بعلم الجرح والتعديل**

**.عنوان المقالII**

**فبين هذين العلمين علاقات تبادلية عديدة؛ إذ يؤثر كل منهما في نتائج الآخر:**

**ومن ذلك:**

**أولًا: أن يؤثّر جرح الراوي أو توثيقه في منزلة الراوي في طبقته، وتقديمه أو تأخيره، إذ يستفتح المصنفون في الطبقات كل طبقة في أكثر الأحيان بأوثق رجالها وأكثرهم علمًا ورواية، ويؤخرون الضعفاء والمتروكين.**

**ثانيًا: يسبر النقاد حديث الراوي، للتأكد من ضبطه أو اختلال روايته، وأهم وسيلة لديهم أن يعرضوا حديث الراوي عن شيوخه على حديث الطبقة الأولى من أقرانه، فإذا وافق حديثه حديثهم في أكثر الروايات وُثّق، وإن كثرت مخالفته لهم عدّوا روايته وهمًا وغلطًا، ومن كثُر وهمه وغلطه نقصت منزلته عند العلماء، وربما ضُعّف أو اتّهم، ونتيجة هذا السبر هو العامل الرئيس في تصنيف الراوي في أي طبقة من طبقات الرواة عن شيخ مشهور، فقد كان الأوزاعي يقدّم قرة بن عبد الرحمن المعافري المصري في أصحاب الزهري، غير أن النقاد المتأخرين عن الأوزاعي خالفوه في ذلك، فقالوا: نظر الأوزاعي إلى كثرة ما يرويه قرّة عن الزهري فاغتر بذلك وقدّمه، ولم يكن الأوزاعي عالمًا بالزهري، وحديثه عنه قليل، وقد جمع النقاد حديث الزهري وصنفوا أصحابه في طبقات حسب الأصول التي ذكرناها، فعدّوا أمثال قرة بن عبد الرحمن ومن كان بسبيله في كثرة الغلط وقلة الحديث في الطبقة السادسة من خمس طبقات، وهم أصحاب الزهري.**

**ثالثًا: يُقدم علم الطبقات معلومات قيمة متممة لمسائل الجرح والتعديل قد تهملها الكتب المصنفة في الجرح والتعديل، فمن ذلك أن المذكورين في كتب الطبقات يكوَّنون في الغالب ممن ارتفعت جهالة أعينهم وعرف المصنف أشخاصهم وتأكد من هويتهم، بينما يذكر مصنفو التواريخ كل من روى حرفًا من العلم ولو كانوا مجاهيل أو اختلف في تسميتهم. وكذلك فإن ترتيب الرواة داخل الطبقة الواحدة يشير إلى منزلةٍ في الثقة والضبط أو الجرح والضعف كما أسلفنا، أما مصنفات الجرح والتعديل فقد تُهمِل هذه الناحية، فلا تميز بين تابعي ثقة روى مائتي حديث، وتابعي ثقة روى حديثين.**

**رابعًا: شهرة الرجل في طبقته لها دور هام في رفع منزلته وتعديله، فقد قدم أحمد بن حنبل أسلم المنقري على جعفر بن أبي المغيرة؛ لأن جعفرًا ليس بالمشهور.**

**خامسًا: من يتتبع كتب الجرح والتعديل أو كتب السؤالات يلاحظ أن روايَ السؤالات يسأل شيخه في الغالب عن طبقة بأكملها، أو يسأله عن راويين أو ثلاثة رواة في طبقة واحدة أو عن بضعة إخوة رووا الحديث جميعًا؛ ذلك أن العلماء كانوا ينظرون إلى الرواة بمناظر الطبقات الجماعي، وقلما يبحثون أمر الراوي منعزلًا عن الناس، ومثال ذلك: روى ابن سعد عن عفّان بن حماد بن سلمة قال: أخبرنا علي بن زيد بن جدعان، قال: أدركتُ عروة بن الزبير ويحيى بن جعدة والقاسم بن محمد، فلم أرَ فيهم مثل الحسن.**

**قلت: قد أدرك علي بن زيد أنسًا فلم يذكره فيمن ذكر؛ لأن الحسن إنما يُقرن بأقرانه من التابعين، أما الصحابة } ففَضْلهم لا يسبق وشأوهم لا يُلحق، ولا يعكر عليه أنه قال عقِبه: ولو أن الحسن أدرك أصحاب النبي وهو رجل نحتاج إلى رأيه، فإنه يعني الفقه لا الفضل والمنزلة.**

**سادسًا: يقدم علم الطبقات وسيلة هامة لكشف كذب الكذابين وضعف المتروكين، فإذا عُرف المحدث بالسماع من طبقة ما، ثم ارتقى إلى طبقة أعلى منها فقد بان كذبه وانهتك سرّه، من ذلك -وهم كثر- المثال التالي: محمد بن عبدة بن حرب أبو عبيد الله القاضي العباداني، كذّبه الحفّاظ لروايته عن أقوام لم يدركهم كعلي بن المديني وهدبة بن خالد ونحوهم، بل روى عن قوم ماتوا قبل أن يخلق كبكر بن عيسى من شيوخ الإمام أحمد، وله قصة طريفة تُبيّن جرأته على الكذب، فقال الحافظ أبو علي النيسابوري عنه: انصرف من قضاء مصر فقدم بغداد، وكان يروي عن أبي الأشعث وعمر بن شبّه ونحوهما، ثم إنه ارتقى إلى الرواية عن بندار ومحمد بن المثنى، فلما قدم حدث عن أبي الربيع الزهراني وإبراهيم بن الحجاج السامي، ثم بدا له فقال للحافظ أبي إسحاق بن حمزة الأصبهاني وكان مختصًّا به: قد عزمت على أن أحدث عن أبي الوليد الطيالسي والحوضي، فقال أبو إسحاق: الله الله أيها القاضي، فإنا نُرجم، فقد عرف أبو إسحاق علي النيسابوري وأبو إسحاق بن حمزة كذب أبي عبد الله؛ إذ ارتقى في الرواية طبقتين وهمّ بالثالِثة. ونجتزئ بهذا المثال.**

**سابعًا: لعلم الطبقات دور مهم في رفع مزية الراوي من الثقة والعدالة أو وضع منزلته.**

**وذلك يدور حول أربعة محاور:**

**أولًا: طبقة الراوي الزمانية صحابيًّا أو تابعيًّا قديمًا أو متأخرًا.**

**ثانيًا: بلد الراوي.**

**ثالثًا: شرف الراوي ونسبه.**

**رابعًا: شيوخه الذين يروي عنهم أو أصحابهم الذين يروون عنه.**

**وتفصيل ذلك:**

**أولًا: طبقة الراوي:**

**فمن المعلوم أن الصحابة } ثقات كلهم؛ لذا فجهالة الصحابي لا تضر فهو عدل محتج بحديثه ولو لم يعرف، أما التابعون: فقدماء التابعين كالمخضرمين في الجملة أوثق من صغار التابعين وأصدق وأحفظ وأبعد من البدعة، فالتابعي الكبير إذا كان مجهولًا فاحتمال توثيقه أقوى من احتمال تضعيفه ورد حديثه، وكلما تباعدت الطبقة عن طبقة الصحابة فشا فيها الضعف والكذب والبدعة والشمائل المرغوب عنها؛ فيشتد ضعف المجهول من رجالها.**

**ثانيًا: بلد الراوي:**

**ليس من بلد من بلدان الإسلام إلا فيها الثقة والضعيف والصادق والمتهم والسني والمبتدع، غير أن حظوظ البلدان تتفاوت في ذلك تفاوتًا كبيرًا فالبدعة في المدينة المنورة لم تكن فاشية والكذب فيها كان قليلًا، أما الكوفة فحظها من هذين وافرًا ثم أهل العراق في الجملة أعلم وأوثق من أهل الشام وكذلك فإن بعض البلدان يندر فيها الضعفاء كاليمامة وأيلة، وبعضها لا تكاد تجد فيها ثقة كإفريقيا يغلب على أهلها الضعف والجهل؛ ولهذه الأسباب نجد البخاري ومسلمًا ربما خرج أحاديث المقلين من تابعي المدينة ومن بعدهم لا سيما أصحاب أبي هريرة لقلة الجهالة والكذب في تلك الطبقة، وكان أبو هريرة يحدّث الناس كل ليلة بمسجد رسول الله  فيتمكن جلّاسه من حفظ حديثه غالبًا حتى إن الزهري كان يمتدح أشياخه بمجالستهم أبا هريرة.**

**أما المقلون من أهل الكوفة والشام ومصر فهم عند أهل العلم في عداد المجاهيل، فلا يوثقونهم ولا يخرجون حديثهم في الصحاح.**

**ثالثًا: شرف الراوي ونسبه:**

**يلاحظ أن أكثر حملة العلم في طبقات التابعين الأولى كانوا من العرب ثم من أبناء الصحابة لا سيما أبناء المهاجرين والأنصار، وكان دور الموالي في الرواية نادرًا ثم تزايد في نهاية القرن الأول حتى صار الرواة من موالي أكثر من محدثي العرب، ومن هذا نخلص لنتيجة هامة وهي أن أبناء الصحابة لا سيما أبناء المهاجرين والأنصار ثقات إلا ما ندر؛ لذا ارتفع مستواهم عن أقرانهم ممن لم يشاركوهم شرفهم فخرج البخاري ومسلم لعدد منهم من المقلين في الرواية، وكثير من أشراف العرب لهم رواية يسيرة ومع ذلك فهم أجل عند أهل العلم من أن يُطعن في حديثهم، فقد روى سيّار أبو الحكم عن خالد بن عبد الله القسري أمير العراقين، وكان ظالمًا عسوفًا، فقيل لسيار: أتروي عن خالد؟ قال: هو أشرف من أن يكذب، ولهذه العلة أخرج البخاري بضعة أحاديث لمروان بن الحكم مع علمه بدوره في الفتنة، ولكنه كان متأولًا وليس يرضى مثلُه لنفسه أن يكذب على رسول الله  كما أن الغلط والنسيان في ذلك العصر كان نادرًا لقلة هموم الناس وصفاء أذهانهم من الكدر؛ ولذلك كله اعتمده البخاري أما مسلم فأعرض عنه لجرائره، ومسلم قد يسقط الراوي لمذهبه.**

**فخلاصة البحث أن نسب الراوي وهو أحد أعمدة علم الطبقات وشرفه في مجتمعه يؤثر في تحسين حاله عند النقاد أو الازورار عنه، وأن أبناء المهاجرين والأنصار في الصدر الأول أوثق وأصح حديثًا من الأعراب بأطراف البادية أو الموالي بالأمصار، وقد استشهد البخاري في صحيحه بجماعة من أهل الشام والجزيرة يروون عن الزهري ممن خفيت أنباؤهم وعميت على الناس أخبارهم وتفرد بالرواية عن كل واحد منهم محدث واحد كعبد الرحمن بن نمر اليحصبي الحمصي وإسحاق بن يحيى الكلبي الحمصي وهلال بن ردّاد الطائي وعبيد الله بن أبي زياد الرصافي، وهؤلاء في عداد المجاهيل، ولكن الزهري كان يملي بالشام على أبناء هشام بن عبد الملك وحاشيته وكتّابه، وكان أهل الشام والجزيرة يحضرون ذلك الإملاء فيكتبون فقلّ الوهم في رواياتهم؛ لذا ارتفعت منزلتهم فصاروا في حد من يُستشهد بحديثه، ولولا شيخهم لكانوا في طبقة المجاهيل الذين لا يعتد بهم.**

**فمن هذا نخلص أن انتماء الراوي إلى طبقة الآخذين عن عالم مشهور أثر كبير في رفع مستواه وفي قبول حديثه أو تنزيله منزلة من يُستشهد به لا منزلة من يُترك ويرد حديثه، أما تأثير أصحاب الراوي في رفع منزلته فقد كان بعض الحفاظ لا يروي إلا عن ثقة عنده؛ منهم: شعبة بن الحجاج، ومالك بن أنس، ويحيى القطان، وسليمان بن حرب... وغيرهم، فإذا روى الواحد من هؤلاء عن رجل مجهول لا يُعرف وكان حديث ذلك المجهول مقبولًا ليس فيه ما يُستنكر ولم يجرحه أحد من أهل من العلم فإن حديثه ذاك يُستشهد به أو يحسّن، فقد أخرج مسلم في الشواهد رواية شعبة عن عبد الله بن هانئ بن عبد الله بن الشخير عن عمه مطرف عن عمران بن الحصين في صوم سُرر شعبان، وعبد الله هذا لا يعرف، ولكن مسلمًا جعله في عداد من يستشهد به؛ لأنه من عائلة معروفة بالعلم ويروي عن عمه وعنه شعبة وفي كتاب مسلم بضعة رجال مثله.**

**المراجع والمصادر**

1. **(علم رجال الحديث)**

**تقي الدين الندوي المظاهري، المدينة المنورة، مكتبة الإيمان، 1987م.**

1. **(علم الرجال وأهميته)**

**عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني, دار الراية للنشر والتوزيع, 1417هـ.**

1. **(علم طبقات المحدثين: أهميته وفوائده)**

**أسعد سالم يتم، مكتبة الرشد, 1994م.**

1. **(تاريخ خليفة بن خياط)**

**خليفة بن خياط الشيباني، تحقيق: أكرم ضياء العمري, بيروت، مؤسسة الرسالة, 1977م.**

1. **(الطبقات)**

**خليفة بن خياط الشيباني، الرياض، دار طيبة،1982م.**

1. **(التاريخ الكبير)**

**عبد الله بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري، بيروت، دار الكتب العلمية، 1884م.**

1. **(الجرح والتعديل)**

**عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1952م.**

1. **(مناهج المحدِّثين في رواية الحديث بالمعنى)**

**عبد الرزاق بن خليفة الشايجي، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر، 1419هـ.**

1. **(الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين)**

**أحمد محرم الشيخ ناجي, مطبعة الصفا والمروة, 2001م.**

1. **(من روى عن أبيه عن جده)**

**الزين أبو العدل قاسم بن قطلوبغا، تحقيق: فيصل الجوابرة، المعلا، الكويت، مكتبة ابن سعد محمد بن سعد، 1988م.**

1. **(الرواة من الأخوة والأخوات)**

**علي بن المديني أبو داود السجستاني، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، دار الراية للنشر والتوزيع، 1988م.**

1. **(الكنى والأسماء)**

**محمد بن أحمد الدولابي،حيدر آباد، دائرة المعارف النظامية، 1322هـ.**

1. **(طبقات الحنابلة)**

**محمد بن محمد بن الحسين البغدادي أبو يعلى الحنبلي، مطبعة السّنة المحمدية، 1371هـ.**

1. **(الطبقات الكبرى)**

**ابن سعد محمد بن سعد، تحقيق: إحسان عباس، دار بيروت للطباعة والنشر، 1405هـ.**